

(لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

لمسات بيانية ودلالات نفسية في مصطلحي "الخوف والحزن" في القرآن الكريم

دراسة وصفية تحليلية

"Shall be no fear on them, nor shall they grieve"

Psychological significance and notified touches in both terms in the Holy Quran "Fear and Grief" An analytical meta-study.

فتيحة وزاني، جامعة لونيبي علي (الجزائر)، hayatfatiha2014@gmail.com

الزروق فاطمة الزهراء، جامعة لونيبي علي (الجزائر)، fezzourog@gmail.com

تاريخ النشر 2021/12/15	تاريخ القبول 2021/09/29	تاريخ الإرسال 2021/08/31
Abstract		الملخص
<p>This research aims to indicate the two terms- fear and sorrow- in the noble Quran. And we choosed this subject in this context, because these two emotions are included in the two polars of human life ; that is because he lives between the pains of past , the regret and the sadness about what happened in it. And between the fear of future and what it hides, and that makes him live in instability. And as known : that noble Quran aims to attain human's psychological health, and shapes a balanced personality in all it physical, mental, emotional , behavioral aspects . We certainly say that Quran urges to have the positive emotions and get away from the negative emotions. These emotions represent the human's sentimental part ,so the Quran came with a precise description of them , and from this logic , this research</p>		<p>يهدف البحث الحالي إلى بيان مصطلحي الخوف والحزن في القرآن الكريم، وقد تم اختيار هذا الموضوع في السياق، لأنّ هذين الانفعالين يشملان قطبي حياة الفرد، فهو يعيش بين آلام الماضي والتدم على ما كان فيه، والحزن على ما فات، وبين الخوف من المستقبل وما يخفيه، مما يجعله يعيش حالة من عدم الاستقرار، وإن كان مسلما به أنّ القرآن الكريم يهدف إلى تحقيق الصّحة النفسيّة للفرد، وتشكيل شخصية متوازنة في جميع جوانبها الجسمية، والعقلية، والانفعالية، والسلوكية، فإنّه من المؤكد القول أنّه قد حتّ على التّحلي بالانفعالات الإيجابية، ونهى عن الانفعالات السّلبية، ولما كانت الانفعالات تمثّل الجانب الوجداني للإنسان، جاء القرآن الكريم بوصف دقيق لكثير منها، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث للوقوف على تحليل مصطلحي</p>

<p>was chosen to analyse these two terms "fear and sorrow" through the Qur'anic context , using in this research : the Arabic linguistic heritage , psychological heritage, and how the Quran mentioned them . In addition to displaying the Quran's depiction of fear and s grief, highlighting the purpose of combining them.</p>	<p>الخوف والحزن من خلال السياق القرآني، مستهلاً بالتعريب على التناول المفاهيمي للمصطلحين في التراث اللغوي العربي، والتراث النفسي، ثم التناول القرآني لهما، بالإضافة لعرض تصوير القرآن الكريم للخوف والحزن، وإبراز الغاية من الجمع بينهما.</p>
<p>Keywords: fear; grief ; Holy Quran.</p>	<p>كلمات مفتاحية: الخوف؛ الحزن؛ القرآن الكريم.</p>

المؤلف المرسل: فتيحة وزاني، hayatfatiha2014@gmail.com

1. مقدمة:

إنّ المتتبع لحياة الإنسان لا يجدها تسير على نمط ووتيرة واحدة، فهو يعيش مختلف الخبرات والتجارب، التي تبعث فيها مختلف الانفعالات والحالات الوجدانية. فالإنسان يعيش في تناقضات انفعالية، فهو يشعر بالحب حيناً والكره حيناً آخر، ويشعر بالخوف والقلق تارة، وبالأمن والطمأنينة تارة أخرى، وبالفرح والسرور والغبطة وقتاً، والحزن والكآبة وقتاً آخر، وقد تتملكه الغيرة الشديدة في بعض الأحيان، وتجتاحه نوبات غضب شديد فيثور، كما أنّه يخلد إلى الهدوء والسكينة والاطمئنان، ويتمتع بالحياة.

ولما كانت الانفعالات على هذا القدر من الأهمية في حياة الإنسان، وفي تسيير سلوكه، فقد حظيت باهتمام الباحثين والمختصين في علم النفس، وتخصصات أخرى، كما تعددت النظريات التي تناولتها بالدراسة، من أجل فهم الحياة النفسية للإنسان.

غير أن هذه النظريات كانت تتناول دراسة هذه المفاهيم وفق ما كان يسود في زمانها، حتى اختلفت المفاهيم المحددة لها، وذلك لوجود خلفيات ثقافية، وأخرى نفسية اجتماعية توجّه الدّراسة في هذا المجال، على غرار

ما يحدث في العلوم الإنسانية والاجتماعية كافة، مما صعب وصفها، وفهمها، وتفسير سببها. كما أنه لو تم البحث في مخزون التراث الأدبي لوجدت تباينات في تناولها أيضا، كون التراث الأدبي فرعا من فروع العلوم الإنسانية التي طبيعتها الاختلاف.

والقرآن الكريم بوصفه كلام الله الحكيم الخبير الذي قَالَ: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (سورة فصلت، الآية 42)، والذي جاء لتهديب النفس البشرية، وبنائها في جميع خصائصها، قد أكد على العديد من الانفعالات، ومنها الخوف والحزن في كثير من مواضعه، ولتحديد هذين المصطلحين تم اللجوء إلى القرآن الكريم، فالله هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما أودع فيه من خصائص نفسية، وسلوكية، وعقلية، وانفعالية حيث يقول الله عزوجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك، الآية 14)، لكن قبل الخوض في تناول القرآني لهما علينا الوقوف أولا على بعض التعريفات التي أوردها علماء اللغة العربية وعلم النفس حولهما.

2. الخوف:

1.2. تعريف الخوف: نورد فيما يلي بعض التعريفات اللغوية لمصطلح الخوف:

✓ الخوف لغة:

أورد ابن فارس تعريفا للخوف فقال: "الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفرع (1)، وهو ضد الأمن، ويعني توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة". (2)

وعرّفه ابن منظور بقوله: "الخَوْفُ الفرع، حَافِه يَخَافُ خَوْفًا، وَخَيْفَةٌ وَمَخَافَةٌ، قَالَ اللَّيْثُ، خَافَ يَخَافُ خَوْفًا، وَمِنَ التَّخْوِيفِ وَالْإِخَافَةِ وَالتَّخَوُّفِ، وَهُوَ الْفَرْعُ، وَخَوْفُ الرَّجُلِ إِذَا جُعِلَ فِيهِ الْخَوْفُ، وَخَوْفَتَهُ إِذَا جَعَلَتْهُ بِحَالِهِ يَخَافُ النَّاسَ". (3)

يتوافق تعريف ابن فارس مع تعريف ابن منظور في أنّ الخوف الفرع والذعر، كما عرّفه بضدّه وهو "الأمن"، ويشير ابن فارس إلى أنّ الخوف غمٌّ يلحق الخائف لتوقُّعه حدوث مكروه إما عن أسباب مظنونة، أو أسباب معلومة.

وبناء على ما ورد يمكن القول أنّ الخوف: "الفرع"، وهو غمٌّ يصيب الخائف لتوقُّعه لحدوث مكروه لأسباب معلومة أو مظنونة، وهو ضد الأمن.

✓ الخوف اصطلاحاً:

عرّفه الغزالي بقوله: "تألم القلب واحتراقه بسبب توقُّع مكروه في الاستقبال(4)، والخوف خاصة من خواص النفس يظهر عند المخوف، والخوف لما يستقبل والحزن لما فات(5).

مما سبق، نجد أنّ التعريف الاصطلاحي يوافق التعريف اللغوي في جانب التوقُّع، ويكمله في الباقي من حيث أنّه خاصية من خواص النفس، ويتعلّق بالمستقبل، كما يمكن القول أنّه ألم واضطراب يصيب القلب نتيجة تذكر أو استشعار سبب الخوف.

✓ مفهوم الخوف في علم النفس:

يشير كمال الدسوقي إلى أنّ: "الخوف أحد الانفعالات البدائية والعنيفة والمعوّقة، غالباً ما يتميّز بتغيرات جسمية شاسعة وبسلوك الهروب أو طابع الكتمان، وهو ردّ انفعالي قوي يشمل مشاعر ذاتية بعدم الارتياح والرغبة في الهرب أو الاختفاء، تصحبه فاعلية سمبناوية منتشرة، كما أنّ الخوف رد فعل لخطر معين، وقلق من خطر مرتقب". (6)

أما زكرياء الشربيني فيرى أنّ الخوف العادي ما هو إلا شعور طبيعي يحسه كل إنسان طفلاً كان أو بالغاً، حيث يخاف الفرد من الأشياء التي تخيف الأفراد في نفس السن، ولذلك يطلق عليه الخوف الموضوعي، أما الخوف غير الموضوعي أو الخوف المرضي فهو خوف شاذ مبالغ فيه ومتكرر أو شبه دائم مما لا يخيف الأفراد في نفس السن عادة. (7)

وورد في قاموس (لونجمان) لعلم النفس والعلاج النفسي مفهوم للخوف في كونه "شعور قوي يظهر عند الإحساس بوجود خطر، ويشمل الشعور بالتوتر والدافع القوي للهرب، وردود الأفعال الفسيولوجية مثل سرعة نبضات

القلب، وشد العضلات، وبوجه عام حركة الكائن الحي واندفاعاته إما للهرب، أو للدفاع عن نفسه، إن الخوف لا يظهر عند وجود الخطر المباشر فقط أو المواقف التي تمثل هذا الخطر. (8)

تشير التعاريف النفسية إلى نوعين من الخوف: خوف موضوعي وهو خوف فطري وهو انفعال عامي يشعر به كل البشر، وفي كل المراحل العمرية نتيجة وجود خطر حقيقي، وخوف غير موضوعي وهو خوف مرضي نتيجة وجود خطر حقيقي أو وهمي، وهذا الأخير يتطلب تدخل علاجي.

ومن خلال مجمل التعاريف السالفة الذكر يمكن الخروج بتعريف للخوف في كونه: " خاصة من خواص النفس، يدل على الذعر والفرع وهو ضد الأمن، وهو أحد الانفعالات البدائية يكون عند استشعار وجود خطر أو مكروه حقيقي أو متوقع، تصحبه تغيرات فسيولوجية، وجسدية، ودافع للهرب أو الدفاع عن النفس، وهو نوعان: خوف موضوعي يشعره به كل البشر على اختلاف أعمارهم وأجناسهم، وخوف غير موضوعي أو مرضي من أشياء لا تستدعي الخوف، وهذا يتطلب تدخل علاجي.

3. الخوف في القرآن الكريم:

ورد لفظ (الخوف) في القرآن الكريم في أربعة وعشرين ومائة (124) موضعا، جاء في سبعة وثمانين منها (87) بصيغة الفعل، وجاء في سبعة وثلاثين موضعاً (37) بصيغة الاسم، وقرن في مواضع كثيرة في القرآن بـ (لا) التامية، وبـ (لا) التافية، فمثال الأول قوله عز وجل: ﴿لَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١٣﴾ (سورة القصص، الآية 25)، ومثال الثاني قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾ (سورة طه، الآية 112).

والخوف انفعال يحدث في النفس لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب. وهو نوعان:

الأول: خوف من الله عز وجل، ومظهره طاعة الله والخشية له والحذر من مخالفته، ومن أمثلة هذه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢٥﴾ (سورة الأنفال، الآية 2)، وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ (سورة السجدة، الآية 16).

والثاني: خوف من سواه ومظهره الترقب والانتظار لحلول مكروهه، ومثاله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (سورة النساء الآية 77) (9).

تشير الآية 77 من سورة النساء إلى أنّ الخشية من مدلولات الخوف، وأما بقية الآيات فتبين أنّ الخوف نوعان: إما من الله عزوجل، وهذا خوف صحي محمود يدفع العبد إلى طاعة الله واتباع عواقب عصيانه، أو من غيره، ويتعلّق بتوقع المكروه، وقد ورد هذا النوع من الخوف في سياق النفي أو النهي عنه.

1.3. معاني لفظ الخوف في القرآن الكريم:

تورد مصادر الوجوه والنظائر سبعة معانٍ للخوف في القرآن الكريم:

الأول: نفس الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَاءِ اتِّلَاهُمُ اللَّهِ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 170)، وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 56)،

جاء مصطلح الخوف بمعنى الخوف ذاته، والمتعلّق بالأمر المستقبلية في كثير من الآيات التي لا يتسع المقام لذكرها.

الثاني: بمعنى العلم والدراية، ومثله قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَىٰ جَنَفًا أَوْ إِتْمَانًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْرَ عَلَيْهِ إِتَّ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 182)، وقوله أيضا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْتِ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَفُلْتًا وَرُبْعًا فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (سورة النساء، الآية 3)، والآية 128 من نفس السورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ أُمَّرَأَةً خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (10).

وهنا جاء الخوف دالا على العلم والدراية؛ دلالة مجازية... حيث إن الإنسان لا يخاف من شيء إلا إذا علم أنّه مما يخاف منه، فهو تعبير بالمسبب عن السبب، فيكون الخوف هنا ناتج أو حاصل بسبب العلم أو الدراية بالشيء المخوف.

الثالث: بمعنى الظن، ومنه قوله عز وجل: ﴿...وَلَا يَجِلُّ لَهُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُمْ سَبًّا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ﴾ (سورة البقرة، الآية 229) (11)، أي: يظنا. وقول سبحانه في نفس الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾؛ أي: ظننتم. قال الطبري: "العرب قد تضع (الظن) موضع (الخوف)، و(الخوف) موضع (الظن) في كلامها؛ لتقارب معنيهما" (12). والخوف هنا سببه الظن وهو بذلك ناتج عنه أيضا.

الرابع: القتل، وهو قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَوْا لَهُ﴾ (سورة النساء، الآية 83)، وقوله تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 155)، يعني: القتل (13).

جاء لفظ القتل في هذا الموضوع معبراً عن الخوف لأنه من أسبابه، بل إن الحرب والقتل والأعداء قد تكون من المثيرات القوية لانفعال الخوف.

الخامس: الحرب والقتال، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 19)، أي إذا انجلى الحرب، وقوله في نفس الآية: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورًا أَعْيُنُهُمْ﴾ أي الحرب.

جاء الخوف هنا بمعنى الحرب، لأنها تستدعي الخوف، ومن مثيراته. وكل من القتل والقتال والحرب إنما يكون فيها الخوف ملازم ومثير لها.

السادس: بمعنى التقص: ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة النحل، الآية 47)، أي تنقص (12).

السابع: بمعنى الخوف من العذاب: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 170)، يعني من العذاب (15).

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ الخوف جاء بعدة معانٍ؛ كالخوف من العدو، والقتل، والحرب، والعلم والظن، والتقص، والخوف ذاته، وإن كانت هذه المواضع تحوي لفظ الخوف في الظاهر، إلا أنّها تحمل في

مضمونها أسبابه ودواعيه، فقد يكون الخوف ملازما ومصاحبا كما جاء في معنى القتل والقتال والحرب، وقد يكون ناتجا كما في معنى العلم والدراية والظن.. إلخ.

2.3. تصوير القرآن الكريم لانفعال الخوف:

أشار القرآن الكريم إلى بعض ملامح الفرد الخائف منها:

- دوران العينين: كقوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكَ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَبُ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ ۗ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 19)، فدوران العينين من العلامات الوجهية المصاحبة للخوف، مما يعكس عدم اتزان الشخصية واضطرابها.

- الفرار: كقوله تعالى على لسان موسى -عليه السلام-: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۗ﴾ (سورة الشعراء، الآية 21).

وقد جاء الخوف منفيا أو منهايا عنه في أغلب المواضع، مما يدل على سلبيته، وكرهيته في أغلب الأحيان، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا خَفِيَ ۗ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ۗ﴾ (سورة القصص، الآية 31). وقوله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَفِي وَلَا تخزي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۗ﴾ (سورة القصص، الآية 7).

وإن كان انفعال الخوف يعد من الانفعالات السلبية لما له من انعكاسات علي النواحي النفسية والجسدية، والاجتماعية، إلا أنه قد يدفع صاحبه إلى الحذر والتأهب والتفكير بالنجاة، ومن ذلك قوله - عز وجل -: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۗ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۗ﴾ (سورة القصص، الآية 21).

كما وصف القرآن الكريم هذا الاضطراب بالزلزال الشديد الذي يفقد الشخصية توازنها. وذلك في الآية الكريمة: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۗ﴾ (سورة الأحزاب، الآيتين 10-11).

من خلال ما ورد في الآيات القرآنية الدالة على الخوف، يمكن القول أن لفظ الخوف له شقان:

الأول إيجابي: وهو يتعلق بالخوف من الله عز وجل وخشيته، وهذا يدفع إلى طاعته.

والثاني سلبي: ويتعلق بالخوف مما سوا الله، وبعلاقة الإنسان مع غيره، الذي ينتج عنه الترقب والحذر... إلخ. كما أن للخوف عدة معاني، فهو يدل على الخوف ببعده الانفعالي، كما له معاني أخرى تحمل في طياتها مضمون الخوف، ومثال ذلك معنى العدو، فهو يوقع الخوف، ومعنى الحرب والقتل، وهي سلوكيات يصاحبها الخوف... إلخ، فهذه المعاني التي أوردتها القرآن الكريم في معنى الخوف قد تبدو بعيدة عنه؛ لكنها ترتبط به بشكل ضمني، وهذا يرجع إلى أن المفردة القرآنية محيطة، مما يتطلب البحث أكثر في التراث القرآني. كما أن القرآن الكريم قد أعطى وصفا لهذا الانفعال من خلال ملامح وسلوكيات ظاهرة للعيان، تقترب بشكل كبير للوصف الذي يقدمه العلم الحديث، من خلال البعد الفسيولوجي، والجانب السلوكي وغيرها من الجوانب.

4. الحزن:

1.4. تعريف الحزن:

✓ الحزن لغة:

قال ابن فارس: "الحاء والزاي والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه، فمن ذلك الحزن وهو ما غلظ من الأرض، الحزن معروف يقال حزنني الشيء يحزنني؛ وقد قالوا أحزنني، وحزائتك: أهلك ومن تتحزن له" (14).

فيما عرّفه ابن منظور بقوله: "الحزن والحزن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور... والجمع أحزان، لا يكسر على غير ذلك، وقد حزن، بالكسر، حزناً وتحازن وتحزن. ورجل حزناً ومحزان: شديد الحزن. وحزنه الأمر يحزنه حزناً وأحزنه، فهو محزون ومحزن وحزين وحزن... وقيل الحزن: هو كل ما يحزن من حزن معاش أو حزن عذاب أو حزن موت، فقد أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان... قال ابن سيده: والحزن ما غلظ من الأرض" (17).
وعليه فقد عرّف ابن منظور الحزن بنقيضيه وهما الفرح والسرور.

يرى ابن فارس أنّ "الحزن" خشونة الشيء وشدة فيه، ويتفق مع ابن منظور في تعريف "الحزن" على أنه ما غلظ من الأرض. ومن التعريفين نستخلص أنّ الحزن نقيض الفرح وخلاف السرور، وهو خشونة الشيء وشدة فيه.

✓ الحزن اصطلاحاً:

يعرف الحزن بأنه: "ما يحصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي" (18). وقد أورد ابن القيم: تعريف أبو العباس للحزن حيث قال: "الحزن من منازل العوام، وهو انخلاع عن السرور، وملازمة الكتابة لتأسف عن فئات

أو توجع لممتنع. وإنما كان من منازل العوام لأنّ فيه نسيان المنّة، والبقاء في رق الطبع، وهو في مسالك الخواص حجاب، لأنّ معرفة الله جلا نورها كل ظلمة، وكشف سرورها كل عُمة". (19).

يشارك التعريف الاصطلاحي مع التعريف اللغوي من حيث أنّ الحزن ضد الفرح، لكنّه يعطي إيضاحاً أكثر في كونه غمّ ناتج عن وقوع مكروه في الماضي، وملازمة الكتابة تأسفاً بسببه. ومن خلال ما سبق من التعاريف يمكن وضع تعريف للحزن في أنه: نقيض الفرح وخلاف السرور، وهو خشونة وغلظ في النفس، وملازمة للكتابة تأسفاً لوقوع مكروه أو توجع لممتنع في الماضي.

✓ تعريف الحزن في علم النفس:

ورد في معجم علم النفس والتربية: " أن الحزن حالة مؤقتة من الغمّ والهبوط المعنوي" (20). وتعتبر كلمة الحزن Grief عن " رد الفعل لفقد شخص عزيز، وتستخدم بعض الكلمات الأخرى المشابهة مثل الحداد (Mourning)، والفجعة (Bereavement) بالتبادل لتقارب معناها، رغم أنّ الأولى تعني عملية الخروج من حالة الحزن، والثانية تدل على معايشة الحرمان من الفقيد بالموت" (21).

ويعرفه لويس ولبرت: " أنه انفعال كوني له تعبيرات محددة على الوجه يفهمها كل البشر، إذ لا تخطيء العين الشخص الحزين من تقطيب حاجبيه، وضيق عينيه، وربما ارتجاف الذقن بعض الشيء، كما تصحب البكاء كل هذه التعبيرات، فالبكاء إشارة واضحة للتعبير عن الحزن وطلب المساعدة من الآخرين". (22) وهو يركز في تعريفه للحزن على أعراضه الفسيولوجية، خاصة الوجهية منها.

بناء على ما سبق من التعريفات يقتصر مفهوم الحزن في علم النفس على حالة الفقدان لشخص عزيز فقط، أو وصف الأعراض الجسدية، في حين كانت التعريفات اللغوية والاصطلاحية أعم، حيث شملت حصول أي مكروه أو فقد أي محبوب في الماضي، وبذلك يكون الحزن حالة انفعالية ناتجة عن فقد أي شيء محبوب في الماضي ولا تخص فقد الأشخاص فقط.

من خلال ما ورد من تعاريف يمن القول بأن الحزن حالة من الغم والكآبة تصيب الفرد نتيجة فقد شيء أو شخص ذا قيمة، وتظهر معظم ملامح الكآبة على وجه الشخص الحزين.

5. الحزن في القرآن الكريم:

ورد الأصل " حزن " وما يشتق منه في القرآن الكريم في اثنين وأربعين (42) موضعًا من القرآن الكريم، وذلك بصيغتي المضارع والمصدر. فقد جاء المضارع في (37) سبعة وثلاثين موضعًا؛ مما يدلّ على التجنّد والاستمرارية، ثم إنّ مجيء الأصل بهذه الصيغة يُشير إلى أن الحُزن حالة انفعالية مقارنة أو مصاحبة للحدث عند حصوله أو سماعه، فهذا الرسول - عليه السلام - يؤازر صاحبه أبا بكر الصديق إثر تتبع قريش لهما حيث قال الله تعالى على لسان نبيه: ﴿إِلَّا تَصُورُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ (سورة التوبة، الآية 40)، وقوله تعالى: ﴿فَنَادَاهُمَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنُ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ (سورة مريم، الآية 24)، وجاء مصدرًا في خمسة مواضع ليدلّل على مطلق الحُزن، كقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف الآية 84)، وقوله أيضًا: ﴿عَلَىٰ الذِّبْتِ إِذَا مَا أَتَوَكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية 92).

يشير ابن القيم إلى أنّ الحزن انفعال مضاد للفرح والسرور، وذلك لأنّ الحزن يضعف القلب ويوهن العزم، ويضمر الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّجَوُّىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة المجادلة، الآية 10)، فالحزن مرض من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتشميره، والثواب عليه ثواب المصائب التي يتلى العبد بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوهما (23)، والحزن انفعال طبيعي، يكون مصحوبا في أغلب الأحوال بفقد المصادر الهامة لإشباع الرغبات أو الحاجات، " ويرى البعض أنه انخفاض مفاجئ في مستويات التعزيز، ويعتبر الأبوان، الأزواج، الأطفال، أهم المصادر لإشباع الحاجات والرغبات وفقدهم أو بعدهم ذو فعالية خاصة في ظهور الحزن " (24).

1.5. تصوير الحزن في القرآن الكريم:

عرض القرآن الكريم جملة من العلامات البدنية لانفعال الحزن منها:

أ- فيضان الدمع:

قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الذِّبْتِ إِذَا مَا أَتَوَكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيِبُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (سورة التوبة، الآية 92).

ب- ضيق الصدر:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (سورة الحجر، الآية 97). إن ضيق الصدر عبارة عن ضيق التنفس، أي عدم كفاية الهواء الداخل إلى الرئتين، وقال أيضا: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية، 127).

ت- الشعور بالتعب والوهن:

قال تعالى: ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الضَّالِّينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 146).

ج- تضرر الجسم:

قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْمَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف، الآية: 84). من الواضح في هذه الآية أن تضرر البصر كان بسبب الحزن، وفي الحقيقة إن الحزن يسبب أضراراً بدنية كثيرة أو يساهم فيها مع تطاول الزمن. كما أن العلامات الجسدية لانفعال الحزن التي صورها ووصفها القرآن الكريم، تعتبر من بين ما وصل إليه العلم الحديث من أعراض فسيولوجية وسلوكية وعلامات بدنية له.

6. سبب ورود انفعال الخوف والحزن مقترنين في القرآن الكريم:

كثيرة هي الآيات التي تتحدث عن الخوف والحزن، ونجد فيها تأكيداً من الله تعالى على أن المؤمن لا

يخاف

ولا يحزن، وقد جمع الله بين الخوف والحزن في أربعة عشر آية جاءت كما يلي:

أولاً: وردت في ست مواضع شملت سورة البقرة حيث يقول الله سبحانه وتعالى:

1- ﴿فَلَمَّا أَهْطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨)

2- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْبَصِيرَ وَالصَّالِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٢)

3- ﴿بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢٤)

4- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مِمَّا أَنْفَقُوا مِثْرًا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾

5- ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾

6- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

ثانيا: في سورة آل عمران الآية (170) في قوله تعالى:

7- ﴿ فَرِحِينَ بِمَاءِ آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٧٠﴾

ثالثا: في سورة المائدة الآية (69) في قوله عزوجل:

8- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ مِنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾

رابعا: في سورة الأنعام الآية (48) في قوله عزوجل:

9- ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾

خامسا: في سورة الأعراف في الآيتين (35 و 49) حيث يقول تبارك وتعالى:

10- ﴿ يَبْنَوْا عَادِمًا ۖ وَإِنَّمَا يُأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ بِخَبَرٍ يَبْصُرُونَ عَلَيْكُمْ ۖ وَإِنِّي فَتَنَّا أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾

11- ﴿ أَهْلُوا الَّذِينَ أَوْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۖ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾

سادسا: في الآية (63) من سورة يونس في قوله سبحانه:

12- ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾

سابعا: في سورة الأحقاف الآية (13) حيث يقول عزوجل:

13- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴿١٣﴾

وقد جاءت كل المواضع السابقة والتي عددها اثني عشر آية بصيغة " لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " إلا التي جاءت في سورة الزخرف الآية (68) الآتي ذكرها فيما يلي:

يقول تبارك وتعالى:

14- ﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾

وقد جاءت الآيات الكريمة واصفة الفئة التي لا خوف ولا حزن عليها في الدنيا والآخرة، وهاته الصفات متمثلة فيما يلي:

- إتباع الهدي الإلهي.
- الإيمان بالله وباليوم الآخر.
- العمل الصالح.
- إنفاق المال (الزكاة) والصدقة في كل الأوقات والأحوال وعدم إتباعها باليمن والأذى.
- الاستشهاد في سبيل الله.
- الإيمان بالرسول والأنبياء وإتباعهم.
- الإقرار بربوبية الله وألوهيته والاستقامة على منهجه الذي شرّعه.

هاته الفئة تلحقهم رحمة الله تعالى، ويرتقون إلى مصاف أولياء الله الذين لا خوف عليه ولا هم يحزنون، مع وجود صفات أخرى في القرآن الكريم ليس المقام لذكرها هنا. والسؤال لماذا تحدّث الله عن الخوف بصيغة الاسم (لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)، بينما تحدّث عن الحزن بصيغة الفعل ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟

لنتأمل هذه الأشياء:

أورد فاضل صالح السامراتي لمسات بيانية في هذا الصدد حيث يقول:

أولاً- نفى الخوف بالصورة الاسمية ونفى الحزن بالصورة الفعلية، كما خصص الحزن (ولا هم) ولم يقل (لا عليهم خوف)

*قال: (لا خوف عليهم) ولم يقل لا يخافون كما قال " ولا هم يحزنون " لأنهم يخافون، ولا يصح أن يقال لا

يخافون لأنهم يخافون قبل ذلك اليوم، ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ ﴿٣٧﴾ (سورة النور: الآية 37)،

﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا ﴾ ﴿ الإنسان: الآية 10 ﴾، وهذا مدح لهم قبل يوم القيامة؛ أما يوم القيامة يخافون إلا مَنْ أَمَنَهُ اللهُ تَعَالَى. كل الخلق خائفون قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنها تَذَهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (سورة الحج: الآية ٢)، لذا لا يصح أن يقال لا يخافون، فالخوف شيء طبيعي موجود في الإنسان.

* (لا خوف عليهم) معناها: لا يُخشى عليهم خطر؛ ليس عليهم خطر، فقد يكونون خائفين أو غير خائفين، كما يخاف الأهل على الطفل مع أنه هو لا يشعر بالخوف ولا يُقدَّر الخوف، فالطفل لا يخاف من الحيَّة ولكننا نخاف عليه منها؛ لأنه لا يُقدَّر الخوف. الخوف موجود ولكن الله تعالى أَمَنَهُمْ بأنه لا خوف عليهم، ليس المهم أن يكون الإنسان خائفاً أو غير خائف، المهم هل يكون عليه خطر أم لا (لا خوف عليهم). كما قد يخاف الإنسان من شيء ولكن ليس فيه خوف، كالطفل يخاف من لعبة لا تشكل عليه خطراً (25).

وعليه فقد جاء الخوف هنا في سياق مدح، وجاء بصيغة الاسم؛ لأنه حقيقة واقعة وهو أمر طبيعي، فجاء تأمين الله عزوجل بعبارة (لا خوف عليهم).

وقد أشار الطبري لتأمين الله بقوله: وقوله: "فلا خوفٌ عليهم"، يعني فهم آمنون في أهوال القيامة من عقاب الله، غير خائفين عذابه، بما أطاعوا الله في الدنيا واتبعوا أمره وهُدهد وسبيله، ولا هم يحزنون يومئذ على ما خلّفوا بعد وفاتهم في الدنيا... وليس شيء أعظم في صدر الذي يموت ممّتا بعد الموت. فأَمَنَهُمْ منه وسَلَّاهُمْ عن الدنيا فقال: "ولا هم يحزنون" (26).

ثانياً : (ولا هم يحزنون) :

* جعل الحزن بالفعل فأَسْنَدَهُ إليهم، لماذا لم يقل (ولا حزن) ؟؛ لأنه لا يصح المعنى، لأنه لو قالها تعني ولا حزن عليهم أي لا يحزن عليهم أحد، والمهم أن لا يكون الإنسان حزيناً، لكن أن لا يُحزن عليه فهذا يعني: (إما لأنه لا يستحق الحزن عليه، أو لا يشعر به).

* (ولا هم يحزنون): بتقديم (هم) الذين يحزن غيرهم وليس هم. نفي الفعل عن النفس ولكنه إثبات الفعل لشخص آخر، نفي الحزن عنهم وأثبت أن غيرهم يحزن (أهل الضلال في حزن دائم).

* ولم يقل " لا خوف عليهم ولا حزن لهم " لأنها لا تفيد التخصيص (نفى عنهم الحزن ولم يثبت غيرهم)، ولو قال ولا لهم حزن لانتفى التخصيص على الجنس أصلاً ولا ينفي التجدد، وقوله تعالى (لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) لا يمكن أن يؤدي إلى حزن فنفي الخوف المتجدد والثابت ونفي الحزن المتجدد (ولا هم يحزنون) بمعنى لا يخافون؛ والثابت (لا خوف) ولا يمكن لعبارة أخرى أن تؤدي هذا المعنى المطلوب (27). ذلك أنّ القرآن الكريم له خصوصيات في استعمال كلماته؛ إذ تأتي بوصفها بنية سياقية ذات قيمة ودلالة ضمن نسيج النص القرآني ووجودها يكون ضرورياً في ذلك الموضوع، ولا يتحقق التناسق اللفظي إلا بها. (28)

ثالثاً: في الرفع (لا خوفٌ عليهم) تدل على معنيين:

* لا خوف عليهم من أي شيء، وتحتمل لا خوف عليهم وهذا متعلق بالخوف، ومتعلق بالخبر المحذوف (من أي خطر).

* أما في النصب (لا خوفَ عليهم) لا يمكن أن يكون هذا الأمر، ولا بد أن يكون الجار والمجرور هو الخبر (لا خوف عليهم)، عليهم لا يحتمل أن يكون متعلقاً وهذا يؤدي إلى معنى واحد وليس معنيين؛ أي يأخذ شق من المعنيين ويكون متعلقاً بالخبر المحذوف وليس بالخبر. فلماذا لا يصح؟ لأنه إذا تعلق بالمضاف يجب القول لا خوفاً عليهم (لأنه يصبح شبيه بالمضاف) ولا يعد مبنياً على الفتح إنما منصوباً (29).

يقول ابن عاشور: وقوله: "فلا خوف عليهم" نفى لجنس الخوف. والخوف مرفوع في قراءة الجمهور، وقرأه يعقوب مبنياً على الفتح، وهما وجهان في اسم (لا) النافية للجنس، وقد روي بالوجهين قول المرأة الرابعة من نساء حديث أم زرع «زوجي كليل تهامة لا حر ولا قر ولا مخافة ولا سامة». وبناء الاسم على الفتح نص في نفي الجنس ورفع محتمل لنفي الجنس ولنفي فرد واحد، ولذلك فإذا انتفى اللبس استوى الوجهان كما هنا إذ القرينة ظاهرة في نفي الجنس. (30)

كما أورد عبد الدايم الكحيل في باب الإعجاز ما يلي:

- الخوف هو رد فعل لا شعوري، وبالتالي ليس في تحكم الإنسان، فجميع الكائنات الحية تخاف فلذلك جاء بصيغة المصدر (خوف)، بينما الحزن هو تصرف شعوري وإرادي، ويمكن لإنسان أن يحزن وآخر ألا يحزن عند نفس الظروف، ولذلك جاء بصيغة الفعل (يحزنون).

- الآثار والتتائج التي يسببها الخوف أكبر من تلك التي يسببها الحزن، ولذلك قدّم الله ذكر الخوف على ذكر الحزن في الآية الكريمة.
- الخوف يأتي من مصدر خارجي، لذلك جاءت كلمة (عليهم) لتعبّر عن المحيط الخارجي الذي يحيط بالإنسان، بينما الحزن يأتي من مصدر داخل الإنسان، ولذلك سبق هذا الفعل بكلمة (هم).
- لا خوف ... عليهم: الخوف أولاً ثم (عليهم). للدلالة على سرعة الشعور بالخوف، وهو أجزاء من الثانية. أي أن الخوف هو عمل فجائي مباغت، وهذا ما يقوله العلم.
- ولا هم ... يحزنون: (هم) ثم الحزن، للدلالة على أنّ الإنسان هو الذي يقوم بالحزن، وهذا يستغرق زمناً قد يمتد لساعات، أي أنّ الحزن لا يكون فجائياً.
- الخوف يكون من المستقبل، بينما الحزن يكون على شيء مضى، أو يعيشه في نفس اللحظة، والمستقبل مجهول بينما الماضي معلوم، والإنسان يهتم بمعرفة المستقبل أكثر من الماضي، لذلك جاء ذكر الخوف أولاً ليطمئن المؤمن على مستقبله، ثم جاء ذكر الحزن ليطمئن المؤمن على ماضيه وحاضره وبالتالي شمل جميع الأزمنة! ولذلك أينما ذكر الخوف والحزن في القرآن نجد الخوف يتقدم على الحزن لهذه الأسباب. حتى إن (الخوف) في القرآن قد تكرر أكثر من (الحزن)، فسبحان الذي أحصى كل شيء عدداً. (31)
- وعليه فقد جمع القرآن الكريم بين الخوف والحزن نظراً لأن هذين الانفعاليين من الانفعالات الأساسية التي تؤثر على الفرد، كما أنها تمس قطبي حياته، فالخوف يكون على المستقبل، والحزن يكون على الماضي، وبهذا لا يستطيع الفرد العيش باطمئنان، وراحة نفسية وبالتالي يفتقد إلى الصحة النفسية
- الاستنتاج العام:** من خلال ما سبق يمكن القول:
- * لما كان الخوف حقيقة واقعة وحالة طبيعية يمر بها الإنسان عبر عليها بالاسم، ولأن الاسم أقوى من الفعل، كما أن مسار الإنسان في حياته نحو المستقبل مما يجعل شعور الخوف أكثر من شعور الحزن.
- * نفي الخوف لما هو آت هو نفي للحزن على ما فات.
- * لانفعالي (الخوف والحزن) أعراض جسدية بارزة للعيان.
- * استخدام الفعل (يحزنون) بصيغة المضارع للدلالة على الاستمرارية، والاستمرار في حالة الحزن قد يصل بالفرد إلى حالة الاكتئاب، كما قد يفضي إلى تداعيات جسدية.

* الحزن شيء إرادي يمكن للفرد أن يتغلب عليه، لذلك جاء بصيغة الفعل "يحزنون".

* الخوف يرجع إلى مصادر خارجية، لذا فقد سبق بـ"عليهم"، أي أنه واقع بهم وليس من مصدر داخلي.

* الانفعالات خصائص إنسانية تخص كل البشر، حتى الأنبياء عليهم السلام رغم عصمتهم، فقد عاشوا مختلف هذه الانفعالات كالغضب والخوف والحزن، وانعكست على أنفسهم إيجابا وسلبا، وتعاملوا معها حسب ما تقتضيه المواقف.

* الانفعالات لها أهمية في التوجيه الإيجابي للسلوك، لأنها ردة فعل طبيعية تجاه المواقف التي تعترض الفرد، وعليه يبدي استجابات لدفع الخطر أو مواجهة الموقف.. كما أنّ الإفراط فيها قد يضر بالصحة النفسية والجسدية للإنسان.

* ورد الخوف بعدة معانٍ، خوف بمعناه السيكولوجي، ومعانٍ أخرى تحمل في مضمونها معنى الخوف، كالقتل والحرب والقتال والعدو وغيرها.

* الحزن حالة انفعالية تكون مصاحبة ومقترنة بالحدث عند حصوله، وإذا تعلق بالماضي أورث الإنسان الحزن، وإذا تعلق بما هو آت فقد اقترن بالخوف فيورث الهمّ، وكلاهما يوهن النفس ويضعفها.

* صوّر القرآن الكريم عدّة ملامح وسلوكيات تخصّ الشخص الخائف والحزين، وهي مما أفضت عليه الدراسات الحديثة في الاستجابات الفسيولوجية، والجانب السلوكي للانفعالات.

مسرد لبعض المصطلحات باللغة الانجليزية:

-الخوف: Fear.

-الحزن: Grief.

-الفقد: Loss.

-الانفعالات: Emotions

-الحَدَاد: Mourning

-الفجعة: Bereavement

قائمة المراجع:

- (1)- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، (1444هـ-1991م)، معجم مقاييس اللغة، دار جبل، بيروت، ط1، ج2، ص23.
- (2)- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (1999)، المفردات في غريب القرآن، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط2، ص166.
- (3)- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (1900)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج9، ص99.
- (4)- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، (1996)، إحياء علوم الدين، تحقيق: الشحات الطحان عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة، ط4، ص215.
- (5)- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي، (1979)، منتخب قرّة عيون النواظر في الوجوه والنواظر في القرآن الكريم، تحقيق السيد الصفطاوي فؤاد عبد المنعم، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، ص105.
- (6)- كمال الدسوقي، (1988)، ذخيرة تعريفات أعلام علوم النفس، الدار الدولية للنشر والتوزيع، المجلد الأول.
- (7)- زكريا الشربيني، (1994)، المشكلات النفسية عند الأطفال، دار الفكر، القاهرة، ص117.
- (8)- فيرا بيفر، (2006)، الشجاعة الإيجابية: تحرر من المخاوف التي تشل حركاتك وتعوقك عن التقدم، مكتبة جرير، المملكة السعودية، ط1، ص6.
- (9)- محمد السيد الزعبلأوي، (1414-1994م)، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، مكتبة التوبة، الرياض، توزيع مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص141.
- (10)- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن محمد الجوزي، (1404هـ-1984م)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط1، ص297.
- (11)- محمد نور الدين المنجد، (1419هـ-1999م)، الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دارا لفكر، دمشق، سورية، ط1، ص135.
- (12)- وليد المهدي، (2018)، بغية السائل من أوبد المسائل، دار راف، ص873.
- (13)- أبو هلال حسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (2007)، الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، ص203.
- (14)- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (1416 هـ - 1996 م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي التّجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، ص558-559.
- (15)- بن سليمان البلخي، (1427هـ-2006م)، الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، تحقيق حاتم صالح الضامن، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط1، ص55.
- (16)- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، (1399هـ-1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، ج2.
- (17)- ابن منظور، مرجع سابق، ج13، ص111.

- (18)- علي بن محمد بن علي المعروف بالجرجاني، (1983)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، ص 86.
- (19)- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، (1394)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، دار السلفية، القاهرة، مصر، ط2، ص278.
- (20)- معجم علم النفس والتربية، (2003)، معجم اللغة العربية، ج1، المجلة الأمرية، مصر، ص42.
- (21)- لطفني الشرييني، (د ت)، معجم مصطلحات الطب النفسي، مراجعة عادل صادق، تحرير مركز تعريب العلوم الصحية، سلسلة المعاجم الصحية المتخصصة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص 68.
- (22)- لويس ولبرت، (2014)، الحزن الخبيث: تشريح الاكتئاب، ترجمة عبلة عودة، هيئة أبو ظبي للسياحة الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، ط1، ص 147.
- (23)- ابن القيم، (1394)، مرجع سابق، ج1، ص 278.
- (24)- موسى رشاد علي، (2001)، أساسيات الصحة النفسية والعلاج النفسي، مؤسسة المختار، القاهرة، ص ص 44-45.
- (25)- فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدوي السامراتي، (2019)، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل (محاضرات)، برنامج المكتبة الشاملة، ص783.
- (26)- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (1420 هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، ج1، ص 551.
- (27)- فاضل السامراتي، مرجع سابق، ص ص 784-785.
- (28)- فاطمة الزهراء نهمان، (2017)، موقع الكلمة من الفصاحة والبلاغة وجمالياتها داخل التركيب، الصوتيات حولية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر اللغة العربية وآدابها، جامعة البليدة 2 (لونيسى علي)، العدد 18، ص ص 61-73.
- (29)- فاضل السامراتي، مرجع سابق، ص 786.
- (30)- محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، (1984)، التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، ج1، ص444.
- (31)- عبد الدائم الكحيل (2007)، روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم والسنة، <http://kaheel7.com/pdetails.php?id=346&ft=19> ، 2020/04/20.